باب المكاتبة والمذاكرة

Causeries et Correspondance

نحن والمجلة الشهرية

في مصر

كان حضرة محرر « المجلة الشهرية » التي تصدر في مصر طلب الينا رأينا في مجلته فكتبنا اليه رسالة خاصة نشرها في الجزء السادس من السنة الثانية في ص ٥٦٣ الى ص ٥٦٦ . ثم علق عليها ما رآه مناسبا . وطلب الينا ثانية ان نجاوبه . فنقول :

قال حضرته : « اعتمد في قولي ان « تدخل في » مماتة على انها لم ترد في

الباب الذي نراه لائقا بالمصنف . على اننا نقول ان الكتاب الواحد قد يختلف في نظرنا باختلاف الابواب التي ندخله فيها . فربما قرظنا كتابا وهو في نظرنا ساقط . فالسيد عبدالرزاق الحسني صاحب جريدة الفضيلة . اراد ان نقرظ كتابه .

١١ ــ رحلة في العراق او خاطرات الحسني

الطبعة الثانية وهي بقطع الثمن في ١٥٦ صفحة

طبع في المطبعة العصرية في بغداد سنة ١٩٢٥

يرى الواقف على هذا الكتاب كل ما طاب ولذ « من تاريخ العراق بصورة مختصرة » فان صاحبه تتبع احوال العشائر المألوفة . مع ضروب معاشهم وانواع اخلاقهم وفيه فصل عن الآثار العتيقة التي ترى في الصحاري والقفار كما تطالع فيه ما يتعلق باحوال العراق السياسية والاقتصادية والزراعية والعلمية ، فجاء الكتاب كما قال صاحبه : « جامعا مهام المسائل الاقتصادية » فنتمنى له كل توفيق .

كلام فصيح . اما كون دخل (المشددة العين) حية على السنة العراقيين فانت اعلم به . ولا دخل له في موضوعنا ، ولا كلام العراقيين بالحجة التي يسكت عليها» اه

قلنا : انكار الزميل حياة الكلمة وممانها لا يعير سيئا منها . وهل يتصور ان الفصيح يستعمل جميع الالفاظ الفصيحة الموجودة في اللسان الواحد ، فاننا لا نوافقه — واما انها لم ترد في كلام فصيح ؛ فهذا مما ننكره عليه . فهل يتصور - ضرته انه واقف على كلام جميع فصحاء العرب ، او هل يظن ان كلام جميع الفصحاء دون تدوينا ، فاننا لانرى رأيه — ثم من قال له انه لم يرد في كلام فصيح . فصاحب لسان العرب يعد من فصحاء اللغويين ، وعلى كل حال نعده نحن ويعده هو . افصح من حضرته . وقد قال في مادة د خ ل : فلان دخيل في بني فلان : اذا كان من غيرهم فتدخل فيهم — وقال في آخر تلك الصفحة (اي ص ٢٥٧) «الدخل والدخال والدخال : طائر متدخل اصغر من العصفور ...» وهو نص كلام ابن سيده على ما ذكره صاحب التاج . وقال السيد مرتضى :في العباب (واظن صاحبه من الفصحاء اللهم إلّا ان لا يوافق على هذا الرأي حضرة النجيب) تدخل الشيء : دخل قليلا قليلا . ومن ادخل كافتعل قوله تعالى : او مدخلا. اصله متدخل . اه وفي القاموس : دخل دخولا ومدخلا ؛ وتدخل وادخل وادخل كاتعل نقيض خرج اه . فان كان كلام هؤلاء اللغويين لا يرضيه فعليه السلام ورحمة الله وبركاته . طالبين اليه ان يضع لنا معجما يذكر فيه حي المفردات من مماتها لنكون على بصيرة مما ننطق به او نكتبه .

ثم ان تدخل مطاوع دخل . ودخل موجودة في جميع الكتب والمعاجم فضلا عن وجودها في لغة العراقيين ولا سيما البغداديين منهم ، ولغتهم وان لم تكن بالحجة في حد نفسها . الا انها اذا وافقها كلام الفصحاء اصبحت حجة منيعة ؛ وان كان حضرته يحتقرها . فاحتقاره لها لا يغير من امرها شيئا . وهو بعمله هذا يخالف ما كان يفعله الاقدمون من اجلالهم للبغداديين والاعتداد باقوالهم وآرائهم . فقد قال ابن جني في كتاب الخصائص (١ : ٢٠٥)

« سمعت الشجري : ابا عبدالله غير دفعة يفتح الحرف الحلقي في نحو : « يعدو وهو محموم » ولم اسمعها من غيره من عقيل : فقد كان يرد علينا منهم من

يونس به ولا يبعد عن الاخذ بلغتهم . وما اظن الشجري الا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك حرف الحلق بالفتح اذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين ... » ثم ذكر بيت شعر لكثير وآخر لابي النجم . ثم قال : وهذا ما قد قاسه الكوفيون وان كنا نحن لا نراه قياسا .

وقال في ص ٤٥٢ من ذلك الجزء : وتابع ابو بكر البغداديين في ان الحاء الثانية في حثحث بدل من ثاء . وان اصله حثث . وكذلك قال في نحو ثرثور ثرثارة . ان الاصل فيها ثرارة فابدل من الراء الثانية ثاء فقيل ثرثارة . وكذلك طرد هذا الطرد . » الى آخر ما ذكره هناك . وكثيرا ما ترى اللغويين والنحاة من السلف يستشهدون بكلام البغداديين . فمنهم من يقره ومنهم من ينفيه متبعين في اقوالهم كلام من تقدمهم من فصحاء اهل اللسان . ولهذا لا تستحسن كلام النجيب واستخفافه بكلام العراقيين مع ما لهم من رسوخ القدم في اللغة المبينة .

نتقدم الان الى قوله . « عادة لم تجمع على عوائد في كلام فصيح يحتج به »

قلنا : جاء في كتاب العين (وصاحبه من اهل المائة الثامنة للهجرة) : العادة المدربة في الشيء . وهو ان يتمادى في الامر حتى يصير له سجية . والجمع عاد وعادات . وعوائد . اه وفي المصباح : العادة . معروفة والجمع عاد وعادات وعوائد : سميت بذلك لان صاحبها يعاودها اي يرجع اليها من بعد اخرى . » وفي تاج العروس : ومن مجموع العادة : عوائد : ذكره في المصباح وغيره . وهو نظير حوائج في جمع حاجة : نقله شيخنا . قلت الذي صرح به الزمخشري وغيره ان العوائد جمع عائدة لا عادة . اه وهذا مبني على ان فعلة المثلثة الفاء لا تجمع على فعائل او فواعل . الا انا نرى ذلك من الاوهام التي يجب التفصي منها وعنها ودونك ما كتبناه يوما في هذا المعنى :

ورود جمع فعلة على فعائل او فواعل

صرح الصرفيون والنحويون واللغويون ان فعلة المثلثة الاول الساكنة العين صفة كانت او موصوفا لا تجمع على فعائل ولا على فواعل . بل على فعال او فعلات او فعول او غير ذلك .

على اننا اذا نظرنا الى هذا الوزن نراه في اغلب الاحيان محولا عن فاعلة او فعيلة . ولما كانت الاولى تجمع على فواعل والثانية تجمع على فعائل وجدت الفاظ مجموعة على احد هذين الوزنين . ونحن نبين ذلك وان كنا نخالف اصحاب تلك القواعد او الضوابط الموهومة .

من ذلك ما جاء من هذا الوزن وهو من المضعف فانه يكسر على فعائل اطرادا قال الازهري في التهذيب في مادة ك ذ ن : « كل فعلة او فعلة او فعلة (اي بالفتح والكسر والضم) من باب التضعيف فانها تجمع على فعائل ؛ لان الفعلة (المثلثة الاول الساكنة الوسط) اذا كانت نعتا صارت بين الفاعلة والتفعيل المؤنث من هذا النعت الى ذلك الاصل . وانشد .

يقلن كنا مرة شبانبا

قصر « شابة » فجعلها « شبة » ثم جمعها على الشبائب . اه

ومثل شبة وشبائب : حقة وحقائق ؛ غرة وغرائر ؛ ضرة وضرائر : حرة وحرائر : كنة وكنائن : شجرة مرة ومرائر ؛ شدة وشدائد ؛ همة وهمائم (بمعنى الشيخ الفاني والعجوز الفانية) ؛ شقة وشقائق ؛ لصة ولصائص . وبخصوص هذه الكلمة قال في المخصص (٣ : ٧٨) هذا نادر لان فعلة لا تكسر على فعائل اه ولقد رأيت من الامثال التي اوردناها لك . وكلها منقولة عن لسان العرب وتاج العروس والمصباح والتهذيب والصحاح ان جمع فعلة على فعائل في المضاعف ليس نادرا كما توهموه بل كثيرا لان العدد جاوز العشرة . وما كان بهذا القدر لا يعد نابرا . فاحفظ في صدرك خطأ ابن سيده فهو لا يخرج عن تقليد الاقدمين من غير اعمال الفكرة والروية في كلامهم .

والان نورد لك جمع فعلة على فعائل او فواعل من غير المضاعف . من ذلك قولهم ليلة طلقة وليال طوالق . قال ابن دريد : ربما سميت الليلة القمراء « طلقة » وقيل : ليلة طلقة وطالقة اي ساكنة مضيئة . وليال طوالق : طيبة لا حر فيها ولا برد . قال كثير :

يرشح نبتا ناضرا ويزينه ندى وليال بعد ذاك طوالق

قال ابو حنيفة : ان واحدة الطوالق طلقة . الا ان السيد مرتضى رد عليه قائلا

قد غلط لان فعلة لا تكسر على فواعل : إلّا ان يشذ شيء ما .

قلنا : لا شاذ في هذا الكلام بل هو من الجاري على قاعدة جمع فعلة على فواعل اذا كانت فعلة محولة عن فاعلة : اما اذا كانت محولة عن فعيلة فتجمع على فعائل كما رأيت . هذا فضلا عن ان ابن حنيفة الدينوري اثبت قدما في اللغة من صاحب تاج العروس واقدم منه عهدا .

وجمعوا الية على الايا . واثلة على ايال (واصلها ايائل) واهلا (بتقدير اهلة) على اهال (واصلها اهائل) . وارضا (بتقدير ارضة) على اراض (واصلها ارائض) . والوة (مثلثة الاول بمعنى اليمين) على الايا (واصلها الائي عن اللسان) وكيكة (اي بيضة) على كياك (واصلها كيائك) . وحافة على حوائف (التاج) . وحاجة على حوائج . وعادة على عوائد (عن المصباح والتاج) ورخصة على رخائص وكلاءة (مضمومة الاول) على كوالي (واصلها كلائي) ورجبة (مضمومة الاول) على رواجب ودوحة على دوائح .

فهذه اربع عشرة لفظة خالفة بقولهم فعلة لا تجمع على فعائل او فواعل وورودها على خلاف ما ادعوه دليل واضح على فساد ما وضعوه من الاحكام والضوابط . وان كنا لا ندعي اننا اتينا على جميع ما وجد في لسانهم او في معاجمهم : انما ذكرنا ما عثرنا عليه في بعض المطالعات وكلها الفاظ قديمة سبقت عهد الاسلام وليست بمولدة ابدا كما ادعى بعضهم

اما ان بعضهم اولها بانها جمع فاعلة لا فعلة فهو لا يقدح بصحة ما نقول : اذ ان الاولين انكروا جمعها على فواعل : فهي على كل حال مخالفة لاحكامهم . ونحن قد قلنا ان فعلة قد تجمع على فعائل او فواعل بموجب التقدير الذي يقدر لها في الاصل : على ما تقدمت الاشارة اليه في صدر هذا الكلام .

فهل يرجع صاحب المجلة الشهرية عن كلامه الاول . او كما يقول هل يسحب كلامه . فالامر امره رجع عنه ام لم يرجع . فان الحقيقة لا تزيد بفعله . ولا تنقص . بل تبقى على ما هي .

اما سؤال الرصيف : فهل يجمع الاستاذ ساحة وراحة وغادة وبارة وناقة وحلة . على سوائح وروائح وعوائد وبوائر وتوائب وغوائب ؟!!

قلنا : لا . لان الجمع المكسر من السماعي لامن القياسي ، واذا عدم السماع لجأ المتكلم الى القياس . فكيف يسألنا هـذا السؤال وهو عالم بذلك وقد قرره العلماء في كتبهم ؟

وقال : « قد اكون اصبت في قولي ان (تمدن) اشهر من تمـدين ولكن لا لانها « وردت في مقدمة ابن خلدون مرارا » كما قال الاستاذ اذا لماذا لم يقل لنا سبب هذه الشهرة . الايعلم حفظه الله ان الناس يتلقون الالفاظ عن شيوخهم واذا نقل واحد من المولدين لفظة . فلانه سمعها عن شيوخه . اذن كيف تشتهر اللفظة وتمدين لم ترد في كتاب رجل من الاقدمين او المولدين . اللهم إلّا في القاموس وتاج العروس بمعنى تنعم لابمعنى تمدن. اما تمدن فقد ذكرها المقري في نفح الطيب فضلا عن ابن خلدون، اذن وجود تمدن في كلام المولدين خير من عدم وجود تمدين بهذا المعنى في اي كاتب كان . افليس هذا من الامور المعقولة ؟

وقال عنا : « قلتم ان كون القبرية من انواع الاقمى مصحفة عن الكوبرا غير صحيح وان الصحيح الفترية وانها غلطة قديمة . وهذا ما لا علم لي به »

قلنا : فان كان لا علم لك به ، فلماذا نطقت به ؟

واما قوله : «انتقدتم لي قولي : ان جواريهم لها اذناب وهن تلتف بشعورهن وتغني ... الخ والصواب : لهن اذناب وهن يلتففن بشعورهن ويغنين .. الخ فدفاعه عن غلطه هذا الصريح بقوله : والكلام عن مخلوقات وهميات نصفهن انسيات (كذا . ولعل هناك غلط طبع والصواب نصفهن انسي او انصافهن انسيات) والنصف جنيات (كذا) وقد رأيت ان الذوق يقضي بان تعطي هذه المخلوقات ضمير العاقلات طورا وغير العاقلات تارة للدلالة على اصلين . » هو جواب ملجم (بالبناء للمجهول من الجم) لا جواب مفحم (بالبناء للفاعل من افحم) .

واما اصراره على انكار ورود الحوصلة لغير الحيوان فليس مما يغير شيئا من معاني الالفاظ المدونة في الكتب ولا يمنع الغير من اتخاذها في ما ينطقون به فما هي منزلة حضرته من مقام اولئك الذين اثبتوا المفردات بكل حرص وسعي؟ أ فليس الاجدر به ان يتصاغر ويقر بغلطه او بوهمـه او بسهوه اذا ما رآه

الغير بينا لكل ذي عينين . ان الاعتراف بالخطأ مما ينقصنا نحن الشرقيين ويعز علينا اتباع الغربيين فيه . ولو تامل العاقل في مناحي الحقيقة لتأكد ان عدم اذعانه للحق لا يبطل الحق . بل يزيده تباتا ويهوي بمن يخالفه الى ادنى الدركات .

واما انكاره ورده المسؤولية والاهمية والافضلية والفاعلية والمفعولية والاقلية والاكثرية — وبعبارة اخرى : النسبة الى اسم الفاعل واسم المفعول وافعل التفضيل — ليست من العربية في شيء وانك لا تجدها في المعاجم الا عرضا ولا تجدها في كلام العرب ... الى آخر ما قال . فنحن نجله عن النطق بمثل هذا القطع البات . والحكم بانه ليس من كلام العرب . فجوابنا عليه ان يطالع ما كتبناه في مجلة المجمع العلمي العربي في سنتها الرابعة في ص ١٧٦ الى ص ١٧٨ فان كان حضرته يستطيع ان يجاوب عنها فليفعل . ونحن نرجع عن كلامنا ولا نقول مثله « نسحب كلامنا » ونحن لا بد من نشر تلك المقالة في لغتنا هذه في جزء قادم ليطلع عليها من ليس له تلك المجلة .

وفي جوابه الينا اوهام غير ما ذكرناه . نعود الى ردها في جزء آخر . كما اننا سوف نجيبه على قوله لنا : « ايتني بشاهد واحد من كلام فصيح على جمع اسم المفعول المستعمل استعمال الاسم مثل هذا الجمع وانا « اسحب » كلامي »

قلنا له : راجع ما جاء في هذا البحث في الجزء الاول من مجلتنا هذه في جزءها الاول من هذه السنة ريثما نأتيك ببراهين اخرى تزيدك يقينا وثباتا .

اما قوله : « اما ما ورد في كلامهم مثل مضامين وملاقيح فهما جمعا مضمونة وملقوحة . قلنا : قد اصبت في ملقوحة انها تجمع على ملاقيح وكان يجب ان تجمع على رأي الصرفيين جمعا سالما اي ملقوحات لا ملاقيح فتكسيرها على مفاعيل مخالف لقاعدتهم التي وضعوها . اما مضامين فهي جمع مضمون . قال في التاج في مادة ض م ن : واما المضامين فان ابا عبيد قال : هي ما في اصلاب الفحول جمع مضمون . وانشد غيره :

ان المضامين التي في الصلب ما الفحول في الظهور الحدب . اه .

ونكتفي اليوم بهذا القدر ومابقي من جوابنا اليه نرجئه الى جزء قادم .